مجلة قضايا تاريخية

المجلد 05 العدد 03 تاريخ الصدور : 2020/12/25 م

تاريخ الارسال:2020/04/21 تاريخ القبول:2020/06/14 تاريخ النشر 2020/12/25

# التاريخ والأرشفة

د. الهلالي عبد المجيد

جامعة محمد الخامس –المملكة المغربية–

## الملخّص

يسلّط هذا البحث الضوء على التطورات العامة التي عرفتها عمليات الأرشفة منذ القرن 19، وتأثير ذلك على عمليات بناء التاريخ، كما يناقش الاختلافات التي ظهرت بين الأرشيفيين والمؤرخين، والناتجة عن الاعتقاد بأن الأرشيف عبارة عن مخازن للمحفوظات خالية من الصعوبات والمشاكل. وقد توصل البحث إلى أن نظرة بعض المؤرخين لا تنصف الأرشيفيين، باعتبار الضغوطات التي يتعرضون لها خلال عملهم. مما يفرض عقد شراكات بين الطرفين للرقي بالمنتوجين الأرشيفي والتاريخي.

كما تطرقت الدراسة في جزئها الأخير إلى الإكراهات التي تواجهها عمليات الأرشفة، لكونها تعاني من أخطاء الأرشيفيين أثناء عمليات الانتقاء والتقييم والترتيب من جهة، ورقابة الدولة من جهة ثانية، حيث يتم إبعاد وإقصاء مجموعة من الوثائق الأرشيفية؛ مثل الذي تعرضت له بعض الوثائق البريطانية والسوفياتية والبلجيكية التي ترتبط بأحداث تاريخية مختلفة خلال القرن 20، وقد ختمنا الدراسة بتناول وضعية أرشيف المغرب والصعوبات التي يواجهها في الحقبة

**الكلمات المفتاحية :** الأرشيف – الأرشفة – التقييم الواسع النطاق – المؤرخ – الأرشيفي – الوثائق.

تاريخ الارسال:2020/04/21 تاريخ القبول:2020/06/14 تاريخ النشر 2020/12/25

## Abstract

This study sheds the light on the general developments in archiving operations since the 19th century, and the impact of that on history building processes, as well as discusses the differences that emerged between archivists and historians, resulting from the belief that the archive is a repository free of difficulties and problems. The research found that some historians do not do justice to archivists, given the pressures they are exposed to during their work, which imposes a contract of partnership between the two parties to promote archival and historical products.

The study also discussed in its last part the constraints faced by archiving operations, as it suffers from the errors of archivists during the selection, evaluation and arrangement processes on the one hand, and state control on the other hand, where a group of archival documents are excluded and eliminated, such as that experienced by some British, Soviet and Belgian documents Which are related to various historical events during the 20th century, and we concluded our study by examining the situation of the Moroccan archive and the difficulties it faces in the present era.

**Keywords**: archive - archiving – macro appraisal - historian - archivist - documents.

تاريخ الارسال:2020/04/21 تاريخ القبول:2020/06/14 تاريخ النشر 2020/12/21

**مقدمة:**

ينظر المؤرخ والأرشيفي إلى وثائق الماضي بصفة مختلفة، وهما يميزان في ذلك بين "الأرشيف archive" بالمفرد و "الأرشيفات archives" بالجمع. إن الأول يركز على إشكاليات السلطة والذاكرة والهوية التي تتعلق بإدراج وثيقة أو مجموعة وثائق. أما الثاني فيتناول التاريخ المرتبط بالوثيقة عبر الزمن بما في ذلك تدخلات الأرشيفيين التي تحول الأرشيف الأصلي إلى أرشيفات. وبالرغم من أن الفريقين أحسنا صنعا بتكتلهما ضد السياسة العمومية، وتقاسمهما لنفس القيم التي تخدم أهدافهما المشتركة وتاريخهما العلمي فإن المهنتين قد افترقتا خلال الحقب الأخيرة.

إن استكشاف أسباب هذا الافتراق لن يتأتى إلا من خلال تحليل تاريخ المهنتين وإبراز المغالطات الناتجة عن ذلك والتي تمنع الطرفين من رؤية أعمق للخلافات الطفيفة المتعلقة بالسياقات المتعددة المحيطة بالمحفوظات، والتي يمكن أن تساعد على فهمها واستعمالها. وكذا من خلال تصحيح الاعتقاد بأن الأرشيفات ليست مجرد مخازن للمحفوظات خالية من المشاكل في انتظار

المؤرخين، بل هي مواقع نشيطة للسلطة والقوة. فقبل زمن قريب كان من مصلحة المهنتين إنكار (أو على الأقل عدم التساؤل حول) عدم موضوعية الأرشيفات، وبالتالي تمكنت المهنتين من الاستفادة بشكل كبير من شراكة جديدة تتمحور حول تاريخ الأرشيف لإنتاج تاريخ أفضل.

كل ذلك يدفعنا إلى التساؤل حول الصعوبات التي يواجهها الأرشفي خلال مرحلة فرز الأرشيف وتنظيم الربائد؟ وكذا عن درجة استقلالية عمل الأرشيفي؟ فضلا عن الضغوطات التي يتعرض خلال قيامه بعمله؟ وما هي الحلول التي لجأ إليها لمواجهة صناع الأرشيف "المتسلطين"؟. ومن جهة أخرى كيف ينظر المؤرخ إلى الأرشيفي؟ وما أبرز الصعوبات التي تواجه المؤرخ لولوج الأرشيفات؟ وكيف يؤثر الأرشيف المتاح في عمليات بناء التاريخ؟

من الأبحاث المهمة التي تطرقت لعلاقة المؤرخين بالأرشيفيين هناك دراسة نشرها البروفيسور الكندي تيري كوك (**Terry**

تاريخ الارسال:2020/04/21 تاريخ القبول:2020/06/14 تاريخ النشر 2020/12/25

**Cook**)[1] باللغة الإنجليزية سنة 2009، بعنوان: «**the archive(s) is a foreign country: historians, archivists ,and the changing archival landscape**". وإذا حاولنا ترجمة موضوع هذه الدراسة إلى اللغة العربية فإنه يكون على الشكل الآتي: "**الأرشيف بلد أجنبي: بين المؤرخين والأرشيفيين، والتغييرات التي طرأت على المنظر العام للأرشيف**". حيث ناقش فيها مجموعة من المواضيع البالغة الأهمية من قبيل تاريخ الأرشيف وتطور الأرشفة والنظريات المرتبطة بها، فضلا على المقابلة بين تقارير المؤرخين والأرشيفيين، وصولا إلى أرشيف ما بعد الحداثة[2]. ونظراً للقيمة العلمية التي تتميز بها هذه الدراسة فقد اعتمدنا عليها في مناقشة الإشكالية المحورية لهذا المقال.

## 1- تطورات اهتمام الإنسان بالأرشيف:

### 1-1 اهتمام الإنسان بالأرشيف إلى حدود القرن 19:

اهتم الإنسان منذ القدم بالاحتفاظ ببعض أنواع الأرشيفات، سواء في الحضارة الإغريقية ببلاد اليونان أو لدى الفراعنة ببلاد مصر القديمة. وبرع الرومان في تنظيمه والحفاظ عليه، ومع تطور وسائل الحفظ والمعالجة بعد النهضة الأوروبية ثم الثورة الفرنسية لسنة 1789م وصولا إلى القرنين 19 و20م، أصبحت مسألة تكوين وحفظ ومعالجة الأرشيفات أكثر تنظيماً على المستوى الكمي والنوعي، خاصة في البلدان الأوروبية التي كانت سباقة للثورة الصناعية والاختراعات بمختلف أنواعها، والتي عملت على تأسيس مراكز لحفظ الأرشيفات ونشر مجلات متخصصة في شؤون الأرشفة تجاوزت المائة مجلة.

وهكذا فمع بزوغ فجر الثورات خلال القرن 19 وظهور "الرومانسية"، وانتشار التيار التجريبي، بدأ هناك اهتمام واسع بالجمع والمحافظة على آثار الماضي، فظهرت المتاحف والأروقة والمكتبات والأرشيفات، للمحافظة على الكتب والآثار والصور والمحفوظات. وقد كانت هذه المرافق حكراً على الملوك والأرستقراطيين ورجال الكنيسة. إلا أن مجرد القيام بالأرشفة كان دليلاً على أن الماضي لم يعد ينظر إليه كالحاضر، بل هو أجنبي عنه وغير مألوف، وأن الأرشفة أصبحت

تاريخ الارسال:2020/04/21 تاريخ القبول:2020/06/14 تاريخ النشر 2020/12/25

تعطي المحفوظات معان واستعمالات مختلفة. وهكذا ظهر علم الأرشيف، وعلم التاريخ كعلمين قائمين بذاتهما.

## 2-1 – نظرية التقييم الواسع النطاق:

لقد تميزت التوجهات الأولى للأرشيفيين المحترفين بسيرها على نهج المؤرخين في التركيز على الجانب السياسي والقانوني والدستوري والاقتصادي لحكومة الأمة، مرجحة بذلك مصالح الدولة على حساب موضوعية المساطر التي يجب أن تتبعها. فأغلب المجلدات الكلاسيكية حول مناهج الأرشيف تم تأليفها من طرف كبار موظفي الدولة العاملين بالأرشيفات الوطنية بأوروبا. والحقيقة أنه إلى يومنا هذا، تعتني الأرشيفات الوطنية فقط بالوثائق الرسمية للحكومة التي تمولها، أو بمكتبات الجامعات الجهوية أو الوطنية. إن هذا النمط يسود أغلب الدول الناطقة بالإنجليزية. فلماذا لا تعتبر الأرشيفات الشخصية والقيمين عليها جزءاً من الأرشيفات الوطنية في أغلب البلدان؟ ولماذا يسمى القيمين على وثائق الحكومة بالأرشيفيين، في حين يسمى الذين يعتنون بالوثائق الشخصية بالمكتبات بالقيمين على المخطوطات أو المكتبيين الخاصين أو الوثائقيين، مع ما تحمل هذه الألقاب في طياتها من إيحاءات سلبية في الغالب؟

فإلى حدود سنة 1950 كان الأرشيف يركز على أبعاد معينة للدولة كالقانون والدفاع والدستور والضرائب... ويركز بشكل أقل على البرامج الاجتماعية والبيئية والثقافية. ومع تطور وسائل الإعلام وانتشار الأنترنت ... أصبحت الأرشيفات أقرب إلى كل ما هو ثقافي واجتماعي من ذي قبل، مستمدة توجهاتها الجديدة من روح المسؤولية وحرية المعلومات والإقبال المتزايد على الأرشيف من عموم المواطنين. وفي خضم هذا الانتعاش للأرشيف بدأت الأرشيفات تعكس نظرة أكثر شمولية للمجتمع والتجارب الإنسانية، وليس فقط وجهات نظر موظفي الدولة، بل ظهرت تيارات في كندا تعتمد "**التقييم الواسع النطاق**"[3] macro appraisal، الذي شاع تقليده على الصعيد الدولي، لتوثيق التفاعل بين المواطن والحكومة كشكل للحكم الثنائي داخل المجتمع؛ بعبارة أوضح، لم يعد بالإمكان احتكار كتابة ذاكرة المجتمع بالاعتماد على بقايا صانعي وثائق "متسلطين".

تاريخ الارسال:2020/04/21 تاريخ القبول:2020/06/14 تاريخ النشر 2020/12/25

إن المسؤولية التاريخية والعمومية حالياً تتطلب من الأرشيف والأرشيفيين الشيء الكثير. فخلال هذا التحول التدريجي للأرشيفي من محافظ غير فاعل يحرس الماضي، إلى وسيط فاعل واع بذاته يرسم معالم الذاكرة الجماعية للمجتمع، تحول كذلك الأرشيف من مخزن للتاريخ ينتظر اكتشافه إلى موقع للذاكرة والهوية متنازع عليه.

## 2- تطور العلاقة بين المؤرخين والأرشيفيين

### 2-1 المؤرخ والأرشيفي

إن تحقيق التوافق بين المؤرخين والأرشيفيين يكتسي أهمية بالغة للرفع من قيمة البحث التاريخي والعمل الأرشيفي. إن هذه العلاقة من الأهمية بمكان بحيث تحدد هوية كلا العلمين منذ نشأتهما الحديثة خلال القرن التاسع عشر. وعلى الرغم من ذلك يظل هذا التفاعل التكافلي غير مستكشف في مجالات المؤرخين، مما يؤدي إلى سوء الفهم بين علمين يفترض فيهما أن يكونا حليفين. إن هذا الفشل جد مفاجئ لأن "الأرشيف" كان موضوع مادة دسمة للكتابة من طرف المؤرخين خلال الحقبة الأخيرة.

يعتبر "الأرشيف" (بالمفرد) - كما يفضل بعض العلماء تسميته في الغالب- رمز استعارة أو تمثيلا للهوية، ونتاج مسجل لذاكرة شخص أو مجموعة أشخاص أو ثقافة. إلا أن هناك وعياً قليلاً (مع استثناءات نادرة) بتاريخ الأرشيف. وبالتالي لابد من كسر الصمت المحيط بهذا الموضوع عن طريق تحليل خاصيات هذه العلاقة بالنظر إلى التواريخ المشتركة، وبعد ذلك المختلفة عنها، والمفاهيم الناجمة عن ذلك، والتحولات الجذرية الأخيرة في المنظر العام للأرشيف.

### 2-2 الصعوبات التي يواجهها المؤرخ في ولوج الأرشيفات

تواجه الباحث/المؤرخ مجموعة من الصعوبات في حالة ما إذا رغب في الحصول على المواد الأرشيفية، ولعل أبرزها عدم الإلمام بكل اللغات التي كتبت بها الوثائق، إضافة إلى القوانين والتعليمات والحظر الذي تبديه إدارات الأرشيفات في بعض الدول، وتمنع بموجبه من الاطلاع على كل أو بعض الوثائق والملفات التي تقتنيها. وتكاد تكون إدارات الأرشيفات العربية على رأس قائمة المعرقلين للاطلاع على مقتنياتها الوثائقية، بل وتفرض نطاقاً محكماً من السرية تجاه

تاريخ الارسال:2020/04/21 تاريخ القبول:2020/06/14 تاريخ النشر 2020/12/25

الباحثين، في حين يلاحظ أن إدارات الأرشيفات الأوروبية والأمريكية أكثر مرونة في نشرها للوثائق والسماح بالاطلاع عليها.[4]

غير أن الملاحظ أن كل دولة تفرض قوانين محددة وتعليمات مضبوطة للتحكم في تحديد الأرشيفات المسموح بولوجها أو الغير مسموح بالاطلاع عليها؛ وعلى سبيل المثال فإن الوثائق البريطانية يفرج عن كل وثيقة في العادة بعد 25 سنة من تاريخها صدورها، وقد تمدد الفترة الى 50 سنة إذا كانت الوثيقة تتصل بالأمن البريطاني أو المصلحة الوطنية والقومية للمملكة المتحدة. ومع ذلك فقد تختفي بعض الوثائق أو يوصى بإتلافها إذا تعلقت بأمور خطيرة كتقارير عملاء المخابرات والمجندين للعمل في الدوائر السرية، أو اتصلت بالأموال والرشاوي والهدايا المقدمة لأحد الزعماء أو القادة لاستمالتهم أو لتنفيذ بعض المطالب.

وعلى العكس من ذلك، ففي بعض الأحيان ترحل وثائق إلى ملفات خاصة يتطلب الاطلاع عليها رحلة قد تستغرق سنوات من قبل أجهزة المخابرات ودوائر الأمن، ومثل هذا الإجراء متبع في الوثائق الأمريكية والبريطانية، إذ ترفع الوثيقة في الملف وتستبدل بعبارة "**أزيلت بسبب الضرورات الأمنية**"، أو "**بسبب اتصالها بالمصلحة القومية للشعب الأمريكي**"، وقد لوحظ ذلك بجلاء في كل من الأرشيف الوطني الأمريكي والأرشيف البريطاني، وفي أرشيف وزارة الخارجية الايطالية، فما بالك بما يوجد في الأرشيفات العربية ودور الوثائق فيها[5].

## 2-3 الأرشيف وعملية بناء التاريخ

تعود جذور هذه النظرة السطحية التي كانت متداولة بين المؤرخين حول الأرشيف إلى ما قبل القرن 19، حيث كان التاريخ ينظر إليه كشكل من أشكال الأدب أو المسرحيات التي تسحر عقول الناس من خلال المثل العليا التي تحكي عنها، عوض أن يكون تحليلاً نزيهاً مبنياً على الوقائع. ومع ظهور النموذج العلمي الألماني في كتابة التاريخ وبروز المدرسة الوضعانية ذات الحس الأرشيفي الوطني[6]، بدأت عملية إعادة كتابة التاريخ بشكل موضوعي ممنهج وبأسلوب علمي صرف، فاحتاجوا في ذلك إلى المصادر الأرشيفية لاكتشاف الوقائع المتعلقة بالماضي. وبذلك أصبحت الأحكام التي يصدرها المؤرخون على فترة أو حدث ما تستمد قوتها من مدى استنادها على الوقائع، وإلا فلا عبرة بها.

تاريخ الارسال:2020/04/21 تاريخ القبول:2020/06/14 تاريخ النشر 2020/12/25

بظهور هذه القناعات الجديدة أصبح المؤرخون الجدد يحتاجون إلى أرشيف خال من المشاكل والعيوب، أرشيف يتراكم دون تدخل أو وساطة من الأرشيفي. فإذا كانت محفوظات الأرشيف هي السبيل الأمثل لاكتشاف وقائع الماضي، فإن الأرشيف حتماً لا يجب أن يكون نتاج نهج ذاتي لتقييم الأرشيف، أو للتدخل النشيط للأرشيفيين لتشكيل وإعادة تشكيل معاني المحفوظات من خلال المهام الأرشيفية الأخرى. إن هذا التقليد لا يزال معمولًا به إلى يومنا هذا. فحتى المؤرخين الجدد نادراً ما يتناولون إشكالية تقييم الأرشيفات وانتقاء المحفوظات من طرف الأرشيفيين. فعلى سبيل المثال، خلال السنوات العشر أو الخمس عشرة الأخيرة كثرت الكتابات التاريخية عن الهوية فتنوعت المواضيع التي تم تناولها؛ كالمواقع التاريخية، ذاكرة الحروب، العطل الرسمية، الموسيقى، المسارح، التحف القديمة...الخ. وبالمقابل نادراً ما تناولت البحوث موضوع الأرشيف على الرغم من إنشاء أرشيفات وطنية وحكومية ومحلية، وإعطائها رعاية وأهمية أفضل.

وعلى الرغم من قلة التأليف في الأرشيف، فإن مؤرخين من أمثال "جوي بار Joy Parr" تحث زملاءها في المهنة على الانتباه إلى أن عملية صنع المعلومة التاريخية لا تبتدئ من لحظة تأليف الكتب و كتابة المقالات بل لحظة فتح علب المحفوظات. وهو كلام معقول بالرغم من أن الحدث الأساسي في تحديد عملية صنع المعلومة التاريخية يقع، ليس لحظة فتح علب المحفوظات، بل حين يملأ الأرشيفي علب المحفوظات، مع ما يعنيه ذلك من عمليات الانتقاء الأرشيفي. وبالرغم من ذلك فإن دور الأرشيفيين كشركاء في كتابة التاريخ لا يزال غير مرئي.

وعلى الرغم من التنظير الخارجي حول موضوع الأرشيف في الكتابات التاريخية الأخيرة، فإن صوت الأرشيفيين أنفسهم لازال مفقوداً، خاصة وأنهم يمثلون الفاعل الأساسي الذي يقوم بتحديد واختيار وبناء الأرشيف الذي سيحفظ ليتم تمثيله وعرضه على الباحثين والمؤرخين.

### 3- مهنة الأرشفة بين التهميش والمطالبة برد الاعتبار

كان من بين الأوائل الذين تحدوا هذه الصورة التراكمية الموروثة عن الأرشيفي "الخامل"، الذي ينحصر دوره في كونه "القيم" على الأرشيف فقط، السيد "**كاي لامب**"**Kaye Lamb**، رئيس سابق لجمعية التاريخ الكندية، وأحد أبرز

تاريخ الارسال:2020/04/21 تاريخ القبول:2020/06/14 تاريخ النشر 2020/12/25

الأرشيفيين والمؤرخين والقيمين على المكتبات في كندا. يقول "لامب" إن الكثير من المؤرخين يعتبرون الأرشيفي مجرد فأس خشب ووعاء ماء[7]، فهو يجمع الأشياء وينظفها ويرتبها على الرفوف، ويضع بعضاً منها على المائدة تحت تصرف المؤرخ حين يحتاج إليها. كل هذا صحيح – حسب "لامب" – إلا أن هذه النظرة تقصي جوانب أخرى من مهنة الأرشيفي، تتطلب الذكاء والمعرفة وحسن التقدير والحكم على الأشياء، إلى درجة قد تكون أحياناً مخيفة. ولهذا فإن أكثر شيء يرعب "لامب" هي وظيفة التقييم التي يقوم بها الأرشيفي. يقول "لامب": "من بين كمية هائلة من المواد التي يجب تدمير نسبة مئوية عالية منها، يجد الأرشيفي نفسه مجبراً على التعرف والإبقاء على تلك العناصر التي ستكون ذات أهمية ومعنى في السنوات المقبلة. فعلى عكس المؤرخ، لا يستطيع الأرشيفي أن يقحم أي تحديدات ذاتية يجدها مناسبة في مجال عمله. فيتوجب عليه بوجه أو بآخر أن يجد الوسيلة لكي يجتاز الحكم على القيمة المحتملة للمادة الأولية، التي قد تكون لها علاقة بجانب أو مرحلة من مراحل التاريخ لبلد أو دولة ذات علاقة بمجاله. يمكن للمصادر أن تنتظر المؤرخ لسنوات، ولكن ليتسنى للمؤرخ الاستمتاع بذلك، يتوجب على أرشيفي ما أن يعقد العزم ويتصرف بسرعة لكي يحمي ويصون تلك المصادر"[8].

وإذا أخذنا بعين الاعتبار تهميش المؤرخين عبر التاريخ للمرأة، والأقليات العرقية، والطبقات العمالية، والسكان الأصليين لبعض المناطق، فلا غرابة اليوم في تهميش المؤرخين للأرشيفيين وهم يدرسون الأرشيف. ومن بين أشكال هذا التهميش نذكر ما يلي[9]:

– عدم اقتباس المؤرخين حين يكتبون عن الأرشيف – إلا في حالات نادرة – من الكتب التي ألفها الأرشيفيون.

– عدم ذكر المؤرخين أي شيء عن الأرشيف في مقدمة كتبهم، واتفاق المؤرخين أكاديمياً على ذكر الإحالة إلى المصدر إما أسفل الصفحة أو في نهاية الكتاب، عوض إدراجها وسط النص كما هو الحال في أغلب العلوم الاجتماعية.

لكل ذلك فإن **تيري كوك** يحمل الأرشيفيين أنفسهم جزءاً من المسؤولية في إقصائهم من طرف المؤرخين، وذلك لأنهم رضوا بوضعيتهم كهوامش للمجتمع.

تاريخ الارسال:2020/04/21 تاريخ القبول:2020/06/14 تاريخ النشر 2020/12/25

## 4- الأرشيف بين أخطاء الأرشيفيين ورقابة الدولة

### 4-1 الأرشيف وأخطاء الأرشيفيين

مع بزوغ فجر فكر **داروين** المعاصر، بدأت فكرة الجودة الأصلية للأرشيف تستميل العديد من المؤيدين؛ ففي عالم داروين، مسألة انتقاء وتقييم الأرشيفيين لجزء فقط من الوثائق هي ضد الأرشفة. إن التقييم – حسب داروين – يحرف الوثائق عن سياقها الأصلي والترتيب الذي أوجدت فيه في الأصل، وبذلك فالأرشيفي يشوش على الترتيب الطبيعي للأشياء. إن دور الانتقاء والتقييم يخول للأرشيفي سلطة تحديد ما يجب أن يذكره الناس وما يجب أن ينسى، وما الذي يشكل أهمية ويستحق المحافظة عليه، من الذي سيندثر ويتلاشى، لانعدام أو ضعف قيمته. ومع تزايد موجات التطور، استطاع المؤرخون التعرف على الصمت الرهيب الذي يخيم على الوثائق الأرشيفية التي تمكنت من النجاة، وقد كان من بين الأوائل الذين انتبهوا وسلطوا الضوء على خطورة دور الأرشيفي في الانتقاء والتقييم والترتيب، المؤرخ والفيلسوف الفرنسي **ميشال فوكو**، وكذلك المؤرخ الفرنسي **جاك لوغوف**[10].

### 4-2 الأرشيف ورقابة الدولة

بدأ المؤرخون يشككون في طبيعة الوثائق، ومن يقوم باستعمالها وتدميرها، ولمصلحة أي سلطة يتم استخدامها. وبالتالي فإن الحاجة ملحة اليوم لسماع صوت الوثائق الأرشيفية التي تم استبعادها وإقصاؤها. وفي هذا الإطار يؤكد **جاك لوغوف** على أن الأرشيف قديماً كان عاملاً لإضفاء الشرعية على الذين في السلطة وتهميش الذين لا سلطة لهم. ومن أمثلة ذلك أن المؤرخين اكتشفوا كون أرشيفات الحرب العالمية الأولى البريطانية تعرضت للكثير من التلاعب والتغيير، بهدف إظهار المارشال العسكري "سير دوغلاس هيغ" أقل جرماً حول المذبحة التي وقعت بالجبهة الغربية، والتي يتحمل مسؤوليتها لأنه كان القائد آنذاك. كما تم تعمد إحراق الوثائق الاستعمارية التي تخص سيطرة الحكومة البلجيكية على الكونغو تحت إمرة الملك "ليوبولد"، والتي تثبت الفظاعات التي ارتكبت بوحشية خلال فترة حكمه. وفي الثلث الأول من القرن العشرين بعد أن مات لينين قائد الثورة الروسية سنة 1924 دار صراع عنيف على السلطة من بعده بين أبرز رفيقين له، وهما ستالين وتروتسكي، انتهى

تاريخ الارسال:2020/04/21 تاريخ القبول:2020/06/14 تاريخ النشر 2020/12/25

بانتصار ستالين وطرد تروتسكي، فعاد ستالين إلى وثائق الثورة بسلطة الدولة وقام بمسح كل عمل مهم قام به تروتسكي للثورة، وظهر من الكتب ودوائر المعارف طبعات جديدة تعيد شرح الأحداث بطريقة أخرى تمحو أثر تروتسكي، أو تشوه دوره، وحتى اللوحات الزيتية التي رسمها الرسامون لأحداث الثورة، التي علقت على المتاحف العامة، أعيدت الريشة إليها لتمحو وجه تروتسكي، بل إن عدداً من الصور الفوتوغرافية المهمة في الأرشيف أجريت عليها تعديلات في الاتجاه ذاته[11]. لقد أعيدت كتابة التاريخ بصورة واحدة، وحدث هذا من قبل السلطات. لذلك من الطبيعي أن يشكك الناس في كل ما هو تاريخ رسمي[12]. ومثال آخر على ذلك، ما قامت به القوى الامبريالية الأوروبية من خلال استغلال الوثائق المحفوظة من خرائط وتقارير وإحصاءات لتقوية وإضفاء الشرعية على سلطتها من خلال التحكم في التعريف والتسمية والتصنيف لمواطنيها في خانات فرعية هامشية.

من خلال هذه المقاربة فإن الأرشيف يعكس فقط ما جادت به تلك المؤسسات التي كانت في السلطة، لتنقل من خلال الوثائق نظرتها للعالم بما يتيح لها البقاء في السلطة ودعم وضعها كسلطة شرعية. إن هذا الأرشيف المؤسساتي، التابع للسلطة، وتأثر المؤرخين بمجالات أخرى كالأدب والفلسفة ووسائل الإعلام والدراسات الثقافية حول المرأة، دفع بالمؤرخين إلى النظر من جديد إلى "الأرشيف الشخصي personal archive"، وهو ما أدى إلى ميلاد شبه قناعة حول ضرورة كتابة تاريخ الوثائق الأرشيفية أو الأرشيفات، في مقابل تاريخ الأرشيف، من زاوية نظر من هم داخل الأرشيفات المؤسساتية. وبذلك سيتمكنون من الإجابة على بعض الأسئلة الجوهرية من قبيل:

- كيف عكس الأرشيفيون –خلال عدة أزمنة وأماكن– هذه الصراعات المتغيرة حول السلطة على الوثائق حينما كانوا يقومون بمهمتهم كأرشيفيين ويحددون مهنتهم والسياسات والمساطر المتبعة، وبطبيعة الحال حين كانوا يتخذون قراراتهم بالاقتناء والتقييم لبناء الأرشيف الحالي أو تقرير ما يستحق أن يتذكره التاريخ؟
- كيف تأثر الجانب النظري والعملي للأرشيف بالتغيرات الجذرية التي

تاريخ الارسال:2020/04/21 تاريخ القبول:2020/06/14 تاريخ النشر 2020/12/25

عرفتها طبيعة ووسائط الوثائق: ثقافة خلق الوثائق، الجوانب النفسية خلف صنع الوثائق الشخصية، هندسة أنظمة لحفظ الوثائق، الترتيب والاستعمالات، وأنماط التواصل المتعلقة بالوثائق؟

- إذا تجاوزنا عالم الوثائق والأرشيف، كيف أثرت التغييرات المتعاقبة التي شملت تيارات المجتمع الثقافية والتكنولوجية والتربوية والقانونية والاجتماعية والفلسفية في أرشيفات هذه المجتمعات والقناعات والمفاهيم والاستراتيجيات والممارسات التي يقوم بها الأرشيفيون داخل هذه الأرشيفات؟

للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها يحتاج الأرشيفيون إلى التاريخ الثقافي لمهنتهم من الداخل إلى الخارج ومن الخارج إلى الداخل. بعبارة أخرى، لابد أن توجد هناك شراكة وثيقة بين المؤرخين والأرشيفيين لأن لدى كليهما الكثير لتعليمه إلى الآخر.

## 5 – التاريخ الراهن للمغرب ومسألة الأرشيف

مازال المغرب يعد ضمن الدول التي ليست لها سياسة وطنية جادة لتكوين وحفظ الأرشيفات، الشيء الذي انعكس سلبياً على مسألة الأرشفة التي بقيت جد متواضعة بمعظم مؤسسات الدولة، هذه الأخيرة التي عبرت عن نيتها الصادقة في تجميع الأرشيف الذي يهم الدولة المغربية عبر إحداث **مؤسسة أرشيف المغرب** سنة 2011، التي يديرها المؤرخ جامع بيضا، وقد حددت مهمتها في صيانة تراث الأرشيف الوطني والقيام بتكوين أرشيف عام وحفظه وتنظيمه وتيسير الاطلاع عليه.

وبخصوص الأرشيف المغربي لفترة الحماية وما بعدها، فيمكن القول إن معظمه مازال محفوظاً في مراكز الأرشيف الأجنبية، رغم بعض المحاولات الخجولة التي همت استنساخ بعض جوانبه والتي اعتبرها البعض كافية للبحث التاريخي المغربي ذلك أن ثمرات المطابع المغربية تقتحم هذا المجال بكل جرأة يوما بعد يوم[13]. غير أن أرشيف الخزانة الوطنية مازال ينتظر الدقة في التصنيف، كما أن الدولة لم تعمل – مع بعض الاستثناءات – على تجميع ما بحوزة المؤسسات والأشخاص من أرشيفات، الشيء الذي يجعل الكثير منها

تاريخ الارسال:2020/04/21 تاريخ القبول:2020/06/14 تاريخ النشر 2020/12/25

معرضاً للضياع والتلف، كما هو الحال بالنسبة للوثائق الموجودة بحوزة الكثير من عائلات القواد ، ونفس الشيء يقال عن أرشيفات البلديات والشركات والمستشفيات والموانئ وغرف التجارة والصناعة والفلاحة وما بحوزة الأحزاب السياسية والنقابات المهنية والطلابية. وفي حال وجدت هذه الوثائق فإن التحفظات والعراقيل الإدارية تحول دون الاطلاع عليها. وإذا كانت هيئة الإنصاف والمصالحة[14] قد تمكنت من لملمة شتات

شيف يمكن المؤرخ من إنتاج الذاكرة التاريخية التي تخضع لسلطة العلم والمعايير العلمية، ونظراً لخطورة النتائج التي قد يتوصل لها المؤرخ ؛ والتي تختلف من بلد لآخر، كما أنها تختلف حسب نوعية الوثائق. وحسب قانون الأرشيف المغربي فبعض الوثائق يكشف عنها بعد ثلاثين سنة، وبعضها بعد ستين سنة، وقد تصل المدة إلى مائة سنة إذا تعلق الأمر بالوثائق العسكرية. وفي بعض الأحيان يتم تدميرها لإتلاف شواهد الماضي، التي لها امتدادات في الحاضر، وفي هذا الصدد نشير إلى أن هناك أخبار راجت في بداية الألفية الثالثة حول تدمير أرشيف ميناء الدار البيضاء وأرشيف المديرية العامة لمراقبة بعض الوثائق المتعلقة بما يعرف في تاريخ المغرب الراهن ب"سنوات الرصاص"، فان الكشف عن هذا الأرشيف مازال بعيد المنال[15].

إن الأرشيفات بشتى أنواعها تعد سلاحاً قوياً لدى المؤرخ إن تمكن من الحصول عليها، إذ تمكنه من كشف مجموعة من الحقائق التاريخية، ومن تفنيد المغالطات التي قد تحملها الذاكرة المجتمعية التي يحملها الشعب والمتمثلة في مختلف الرمزيات المادية والمعنوية، وبمعنى آخر فالأر

اعتماداً على الأرشيفات، فقد وضعت العراقيل أمامه للحيلولة دون الوصول إليها، وعلى رأسها المدة اللازمة للكشف عن الوثائق التراب الوطني، وكذا بعض محتويات الخزانة الوطنية.[16]

## خاتمة

والخلاصة أن الأرشيف وعمليات الأرشفة عرفت تطوراً ملحوظاً منذ القرن التاسع عشر وخلال القرن العشرين، كما شهد التاريخ نقلة نوعية خلال هذه الفترة؛ سواء على مستوى المنهج أو على مستوى المصادر المعتمدة في كتابته. وكل ذلك انعكس على العلاقة بين

تاريخ الارسال:2020/04/21 تاريخ القبول:2020/06/14 تاريخ النشر 2020/12/21

الأرشيفيين والمؤرخين، والتي عرفت نقاشات واختلافات، وفي بعض الأحيان تبادل للاتهامات بين الطرفين. مما يفرض عقد ندوات ومؤتمرات علمية تجمع المتخصصين في التاريخ والأرشفة، من أجل خلق إمكانيات للتفاعل المثمر بين التخصصين، وإزالة الاختلافات والنهوض بدور كل من المؤرخين والأرشيفيين.

إن إدارة الأرشيف وحسن تنظيمه دليل على تقدم الدول والشعوب وتشبثها بالديمقراطية وحقوق الانسان، ومؤشر على تصالح البلدان مع ماضيها، من أجل فهم حاضرها واستشرف مستقبلها. ولذا يتعين إيلاء الأرشيف وعمليات الأرشفة ما تستحق من عناية؛ عبر وضع قوانين صارمة لحفظ الأرشيفات وصيانتها، وفتح مراكز خاصة بتكوين الأرشيفيين تكويناً متيناً. وذلك بغية الحصول على منتوج أرشيفي صلب، يساعد المؤرخ على بناء التاريخ وسبر أغواره.

**الهوامش:**

[1] – اشتغل تيري كوك منذ سنة 1998 أستاذاً للتعليم العالي لبرنامج الدراسات الأرشيفية بجامعة "Manitoba" ب "Winnipeg" بكندا. وبالموازاة مع ذلك عمل من 1975 حتى 1998 بما كان يعرف بالأرشيفات الوطنية/العمومية الكندية مديراً عاماً مسؤولاً عن التقييم والتخلص من الوثائق الخاصة بكافة وسائل الإعلام، فقام بإنشاء وإدماج "التقييم الواسع النطاق" macro appraisal كنشاط جوهري. كما شغل منصب رئيس تحرير للمجلة العلمية المتخصصة Archivaria، ومحرراً لمجلة الجمعية التاريخية الكندية، ولمجلة أوراق تاريخية وسلسلة كتيباتها/رسائلها التاريخية. وقد قام بإلقاء العديد من المحاضرات، وعقد الكثير من الندوات بعدة بلدان حول التقييم والوثائق الالكترونية ونظرية الأرشيف العامة.

وقد ألف تيري كوك ما يزيد عن ثمانين منشوراً حول عدة مواضيع تهم الأرشيف، تمت ترجمتها إلى عدة لغات ونشرت بجميع القارات. له عدة كتب مشهورة غنية عن التعريف حول تاريخ الأرشيفات الوطنية/العمومية الكندية وتوثيق المجتمعات المعاصرة.

تاريخ الارسال:2020/04/21 تاريخ القبول:2020/06/14 تاريخ النشر 2020/12/21

2- Terry Cook, the archive(s) is a foreign country: historians, archivists. and the changing archival landscape, the Canadian historical review, volume 90, number 3, published by university of Toronto press , September 2009, p.497.

[3] – "**التقييم الواسع النطاق**": نظرية في التقييم تقوم بتقييم قيمة الوثائق بالنظر إلى مَنْ أحدَث "créer" الوثائق، وإعطاء الأولوية للسبب وراء إحداث هذه الوثائق، وأين وكيف تم إحداثها عوض النظر فقط إلى محتواها.

[4] – عيسى صالحية، "وثائق فلسطين منذ الحرب العالمية الأولى حتى النكبة"، الوثيقة، مجلة عالم الفكر، العدد 3، المجلد 36 يناير – مارس 2008، ص.108.

[5] – نفسه.

[6] – محمد حبيدة، المدارس التاريخية: برلين–السوربون–استراسبورغ من المنهج إلى التناهج، دار الأمان، الرباط، 2019، ص.41.

.5077- Terry Cook, Op.Cit, p.

.5088- Ibid, p.

.5099- Ibid, p.

10- Terry Cook, the archive(s) is a foreign country: historians, archivists, and the changing archival landscape, the Canadian historical review, volume 90, number 3, published by university of Toronto press, September 2009, .521p.

[11] – أحمد بهاء الدين، حول إعادة كتابة التاريخ، مجلة العربي الكويت، العدد 256، مارس 1980.

[12] – عبد المالك خلفي، "الشك في الوثائق الرسمية، الوثائق البريطانية عن منطقة الخليج العربي نموذجا"، الوثيقة، مجلة عالم الفكر، العدد 3، المجلد 36 يناير – مارس 2008، ص.25.

[13] –جامع بيضا، "هيستوغرافيا المغرب المعاصر (القرن 20)" البحث التاريخي بالمغرب، مجلة دراسات مغاربية، بيبلوغرافيا، بالإصدارات الجديدة، العدد: 19 مطبعة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، 2005، ص.52.

[14] – **هيئة الإنصاف والمصالحة**: هي لجنة تم تنصيبها من طرف الملك محمد السادس في 7 يناير 2004، وذلك من أجل الكشف عن مصير ضحايا الاعتقال التعسفي والاختفاء القسري، أحياء كانوا أم متوفين، إضافة إلى مواصلة تحديد التعويضات للضحايا أو أصحاب الحقوق، والعمل على جبر باقي الأضرار المادية والمعنوية، بما في ذلك تقديم الحلول للمشاكل الصحية والاجتماعية والادارية. وبعد انتهاء مهام هذه الهيئة تم حلها في دجنبر 2005.

[15] – صالح شكاك، "من المغرب المعاصر إلى المغرب الراهن، إشكاليات الاستمرارية والتحول"، التاريخ ومهام المؤرخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 158، تنسيق محمد كنبيب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2009، ص.55.

[16] – نفسه، م.س، ص.58.

## قائمة المصادر والمراجع:

❖ Terry Cook, the archive(s) is a foreign country: historians, archivists, and the changing archival landscape, the Canadian historical review, volume 90, number 3, published by university of Toronto press, September 2009.

تاريخ الارسال:2020/04/21 تاريخ القبول:2020/06/14 تاريخ النشر 2020/12/21


- صالحية عيسى، "وثائق فلسطين منذ الحرب العالمية الأولى حتى النكبة"، الوثيقة، مجلة عالم الفكر، العدد 3 المجلد 36 يناير – مارس 2008.
- بهاء الدين أحمد، حول إعادة كتابة التاريخ، مجلة العربي الكويت، العدد 256، مارس 1980.
- خلفي عبد المالك: «الشك في الوثائق الرسمية، الوثائق البريطانية عن منطقة الخليج العربي نموذجا"، الوثيقة، مجلة عالم الفكر، العدد 3 المجلد 36 يناير – مارس 2008.
- بيضا جامع، «هيستوغرافيا المغرب المعاصر (القرن 20)» البحث التاريخي بالمغرب، مجلة دراسات مغاربية، بيبلوغرافيا، بالإصدارات الجديدة، العدد: 19 مطبعة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، 2005.
- شكاك صالح، «من المغرب المعاصر إلى المغرب الراهن، إشكاليات الاستمرارية والتحول»، التاريخ ومهام المؤرخ، تنسيق محمد كنبيب، منشورات النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2009.
- محمد حبيدة، المدارس التاريخية: برلين–السوربون–استراسبورغ من المنهج إلى التناهج، دار الأمان، الرباط، 2019.